الدفاع عن الوجود عند الصعاليك في العصر الجاهلي بحث في التشكيل الشعري اللا مكاني

پرى طة مصطفي[1]، هشيار زكى حسن

[1] قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة صلاح الدين- أربيل، إقليم كوردستان، العراق
[2] قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة كويه، إقليم كوردستان، العراق

المستخلص

تتجلّى حساسيّة المكان تجلّياً صورياً في حالات كثيرة، فإذا كان المكان بصورته التقليدية يتلخّص في شكل هندسي محدّد؛ تخيط حدوده أبعاد هندسية وقياسات خاضعة لحسابٍ رياضيّ متقَن، فقد جرى على هذا النحو في مجريات فلسفية ،واجتماعية ،ونفسية لا حصر لها، وذلك للتحرّي عن أهميته ودوره في تكوين النصّ الأدبيّ استناداً إلى هذه المرجعيّات. يمكن معاينة المفهوم الفلسفيّ لـ "اللا مكان" في سياق رؤية نقديّة تحيط بمفهوم المكان أولاً؛ كي يسوّغ بعد ذلك البحث في مفهوم اللا مكان على النحو الدقيق المطلوب، في ظلّ انفتاح شامل وكامل على المفهوم حين يتعلّق الأمر بالمعنى الفلسفيّ للأشياء، من مقومات الحياة اللا مكانية في المجتمع الصعلوكي هي حرية التحرك في الصحراء الواسعة والوديان والجبال وكل ما تحتاج إليه حياتهم مزاولتها، فالسرعة هي الهيأة الملتصقة بالصعاليك و التي تمنحهم العبور السريع في الأماكن المتعددة، دون الالتفات إلى القياسات والأبعاد، وهي آلية لا مكانية ترتفع فيها عوامل الدفاع عن الوجود واستمرار الحياة على نحو مثقل بالمتاعب، متمثلاً في تجربة الشعر الجاهلي و-على نحو خاص- بمجموعة الصعاليك الذين مرّوا بظروف غير عادية وهم يمارسون أساليبهم لحماية وجودهم والأيديولوجيا التي يسعون إلى تحقيقها. تمت مزاولة خطة البحث على وفق مقدمة يليها التمهيد حول مفهوم اللا مكان فلسفيا ونفسيا والدفاع عن الذات عند شعراء الصعاليك، متابعة للعرض الذي يحتوي نصوصا تطبيقية عند شعراء الصعاليك تحذو الدفاع عن الوجود والبقاء ضمن صراع مستمر مع الحياة والزمان والأمكنة المفتوحة التي لا حدود لها، وقد أنهي البحث بخاتمة تليها قائمة بأهم المصادر و المراجع.

كلمات مفتاحية: الذات، اللا مكان، الصعاليك، الشعر الجاهلي، التشكيل الشعري.

المقدمة

يبعث المكان في الإنسان شبكة من المشاعر المختلفة مثل الكره ،والخوف ،والقلق من جانب والحب ،والأمان ،والاستقرار من جانب آخر، كما يصور حالة الذات المشاركة للمكان بصورتها الإيجابية أو يعلّقها مشنوقاً بين السماء والأرض وفي طرقات بعيدة متقلب الألوان ليتناوب بين مكانٍ وآخر، ورؤية وأخرى، ومجال وآخر.

يمثل الوعي بوجود الذات والكفاح من أجل البقاء ركيزة أساسية من ركائز كينونتها الإنسانية لتحقيق غاياتها وأهدافها، والعيش في حياة ذات مغزى موزّعة فيها أحلامها الفردية بعيداً عن الخوف واليأس؛ مع مواجهة الابتلاءات المفتوحة بلا حدود لتتحمل -الذات- مسؤولية أثقل مما يتوقعه الخيال، كما يتجاوز الدفاع عن الوجود المسار الفردي نحو الفكر الجماعي مما يتحول إلي منظور ديني ،أو سياسي ،أو قومي ،أو فكري، لاسترداد ثقة الذات بوجودها والوصول إلى نتائج مضمونة؛ متمثلاً في تجربة الشعر الجاهلي -على نحو خاص- بمجموعة الصعاليك الذين مرّوا بظروف غير عادية وهم يمارسون أساليبهم لحماية وجودهم والأهداف التي التي يسعون إلى تحقيقها يتقابل الشاعر الجاهلي تناسقا حيا مع الحرية المكانية والانعتاق من حدودها جراء الانتقالات المتجذرة في حياته للبحث عن الماء والكلأ تارة و الهجوم على العدو أو الفرار منه تارة أخرى، والذي ينتفي منه الاستقرار الدائم في مكان معين، لتكرار محطات لا مكانية تمنع منها الثبات على مدار سنوات طويلة، ويمشي الشاعر في قنوات الأطلال الكثيرة التي التصقت بها ذاكرته الشعرية يوما بعد يوم رغم أن قصائده يلازمها الأطلال ـ لتجسد نواياها استهلال القصائد التي يبكي وينادي فيها الشاعر الحبيبة والمكان ليتجدد لوعة وتعب الانتقالات المكانية بين مدّة وأخرى.

أما حياة الصعاليك فهي الصورة المكبرة لمعاناة الشاعر الجاهلي مع ارتفاع درجة تردد الانتقالات المكانية وتوسيع دائرتها في أنحاء الجزيرة العربية، فإذا كان الشاعر الجاهلي مجبرا على البحث عن الارتباط بالمكان الحر، فإن الشاعر الصعلوك يقرر الانعتاق النهائي من قيود المكان الذي يؤصد أبواب سجن الأيديولوجيا الذي يزاوله الأفراد في المجتمع القبلي. من مميزات حياة الصعاليك هي التحرك في مساحات لا مكانية واسعة مما يساعد على توفير الحرية والانعتاق المستمر في المساحات الهندسية المحدودة. كما كان العيش في منطقة اللا مكان تتداول فيه القوة والشجاعة اللتين تحملان على أكتافهما الدفاع عن البقاء

مجلة جامعة كويه للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٧، العدد ٢ (٢٠٢٤)
أُستلم البحث في ١٠ كانون الثاني ٢٠٢٣؛ قُبل في ٢٦ شباط ٢٠٢٤
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في ٥ تشرين الثاني ٢٠٢٤
البريد الإلكتروني للمؤلف: paree.taha@su.edu.krd
حقوق الطبع والنشر © ٢٠٢٤ پرى طة مصطفي، هشيار زكى حسن. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 40.

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v7n2y2024.pp246-254

على هذا العيش سالما جراء مزاولة الخطورة اللازمة ضمن العيش في الصحراء والوديان ومقاومة الأزمة التي يعيش فيها الفرد الصعلوك.

حاول العنوان الربط بين مصطلح نقدي حديث (اللا مكان) وبين حياة مؤسطرة قديما هي الحياة الجاهلية المليئة بالعادات والتقاليد المعنية المرتبطة بالقبيلة، وذلك لتوفير المصطلح جذوته من الحياة الجاهلي خصوصا الصعاليك الذين شكلوا لذواتهم حياةً معينةً تتركز في طبقات لامحدودة.

قرر البحث الاكتفاء بمنهج تحليلي للنصوص من النواحي العديدة (النفسية ،والفلسفية، والفنية)، ليحتوي المجالات العديدة التي تشكل معاناة الصعاليك المستمرة من الجوع ،والماء، والمأوى ،والعذاب النفسي يوميا، كما كانت النصوص تتجول في هذه الفضاءات المذكورة لكي يكون الشاعر واقعيا مع ما يؤسطر به حياته.

تشكلت خطة البحث وفق مقدمة وتمهيد؛ إذ احتوى التمهيد المفهوم الفلسفي والنفسي للا مكان وتوضيح الآراء المهمة في ضوء الموضوع، وكيفية الدفاع عن الوجود عندهم، ثم الدخول في التطبيقات ازمة لذكر الحالات وآليات الدفاع عن الوجد عندهم، والإشارة إلى النتائج والمصادر والمراجع المستخدمة في البحث، أما المصادر الرئيسة في هذا العنوان هما: كتاب (اللاأمكنة لمارك أوجيه) و كتاب (المكان واللا مكان لأدوراد رلف) لتواجد التنظير والتأطير للا مكان وما يدور حوله والإشكاليات الموجودة بين المكان واللا مكان. والذي تتقاسم فعاليتها مع المصادر الأخرى التي تتنوع بين الدواوين وكتب عن الأدب الجاهلي ودراسات تطبيقية عن الشعراء الصعاليك.

1ـ مفهوم اللا مكان

يمارس كلّ فرد نشاطاته بين عالم الصفاء وعالم مضادّ يشوبه الفساد في مساحة مكانية محدودة، فيسجّل في تفاصيل المكان وجزئياته تاريخه المرتبط به شخصياً؛ تأليفاً لسيرة حياته، ورسماً لأثره على المكان وأثر المكان عليه. غير أنّ هذه العلاقة المتداخلة قد تنقطع مع مرور الزمن وذلك لهجر المكان قهراً أو طواعية لأسباب كثيرة ومتغيّرة باستمرار، فيتضاءل الأمان ويخوض في رحلة قلقة دائمة .

يؤدّي المكان في حياة الإنسان دوراً أساسياً على هذا النحو ويترك عليه آثاره شاء أم أبى، إذ هو مسرح الأحداث والهواجس التي تصفها الذاكرة بدقّة كلّما وجدت سبيلاً إلى ذلك، ومن خلاله يمكن قراءة الأحداث بكلّ ما فيها من شخصيات سالبة وموجبة وفراغ يتيه الإنسان فيه؛ لتتبدّى سلطته وهيمنته من أجل رسم صورة الحياة على طول مسيرة الزمن.

شكّل كتاب باشلار (جماليات المكان) انعطافة في طريقة تناول النقاد لموضوع المكان، إذ نبّه إلى الجوانب الجمالية للمكان من طبيعة تلمّس الدور الذي يصنعه الخيال في بلورة صور هذا المكان في أحلام يقظتنا وفي وعينا، مع تضييق المسارات المتعددة المنبثقة من المكان في اقتصار نظرته على العالم الطفولي. (باشلار، 2000 :6).

يشير (يوري لوتمان) إلى الخبرة كوسيلة لإدراك المكان واختلافه بين شخص وآخر وإدراكه للزمان؛ فبينما يُدرك الزمان ادراكاً غير مباشر عبر فعله في الأشياء، فإن المكان يُدرك إدراكاً حسياً مباشراً، يبدأ بخبرة الإنسان لجسده، هذا الجسد هو مكان أوّل يعيه الإنسان. (لوتمان، 2010: 59) ؛لأنّ انعدام الخبرة بالمكان كفيل بتسيّد الفكرة اللا مكانية والعيش في فضائها وحلولها في منطق التفاعل مع الأشياء.

يعضد مصطلح اللامكان تنمية اضطراب علاقة الإنسان مع المكان أو تحوّلها من علاقة وطيدة إلى علاقة واهية، مما يؤدي إلى توهين دور المكان وتحولها إلى اللا مكان. ولا شكّ في أنّ ما يربك مصدر المكان أيضاً هو عدم وجود علاقات إنسانية اجتماعية قوية كما أكّد (أدوارد رلف) على ذلك بقوله: "إلا أنّ هذا الارتباط متعلّق بالدرجة الأولى بتفاعل الفرد مع غيره من البشر وليس بعلاقته ببيئته الطبيعية". (رلف،197: 78ـ 79).

يجب أن ندرك أنّ مفهوم اللا مكان لا يمكن معاينته بهذه الدرجة من البساطة حين يتعلق الأمر بالذهاب نحو فلسفة المفهوم؛لأنّ اللا مكان هو مكان فضائيّ غير مرئيّ وغير ملموس بالدرجة التي يمكن فيها رؤية المكان ولمس أبعاده، هو مكان خارج الأبعاد التقليدية المؤسسة لفكرة المكان، (عبيد، 2022: 37)

يعدُّ ماركَ أوجيه من أوائل (إن لم يكن الأول على الإطلاق) استخدم مصطلح اللا مكان بهذا المفهوم. حيث تناول المصطلح من وجهة نظر انثربولوجية؛ فيعرّف المكان الإنثروبولوجيّ على أنّه كلّ مكان هويّاتيّ وعلائقيّ وتأريخيّ، مما يعني أنّ كلّ مكان لا يمكن وصفه بأنّه هوياتيّ أو علائقيّ أو تأريخيّ يمكن تحديده بأنه (لا مكان). (أوجيه، 2018 : 79، 80).

على الرغم من أن فكرة اللا مكان طرحها وأطّرها (مارك أوجيه) في كتابه (اللا أمكنة، مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة)، لكن سرعان ما أصبحت واحدة من أكثر المفاهيم تأثيراً في مناقشة فلسفة المكان، إذ حددت للمكان صفات أساسية (العلاقة، والهوية، والتأريخ)، وأنّ اللا مكان يُنتج حال الخلخلة في العلاقة مع التأريخ بحثاً عن الهوية المطلوبة، وذلك نتيجة العيش في الظروف المؤقتة وانعدام اليقين على نحو متزايد لا يتيح الاستقرار المطلوب لاستيعاب المكان وفهمه

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الظاهرة ليست حكراً على الحداثة المفرطة، بل يمكن أن توجد في أزمنة مختلفة وبصور أخرى، ومن الأمثلة على ذلك حياة الصعاليك في العصر الجاهلي التي تضاهي عصر الحداثة وخفتها على صعيد الانتشار والحماس والتداول، فالسرعة فى حركتهم بغية أداء الإغارة والرجوع إلى أماكنهم المؤقتة التي ينبغي الإسراع فيه، كانت عاملاً فى تقليص أماكن العبور وتحويلها إلى لا مكان..

يتغير انتماء الإنسان بناءً على ما يطرأ من تغيرات في فكره ونفسيته وظروفه وحساسيته وعلاقته المتغيّرة بالمكان. كما يتوقّف على "التقارب والتعدد في إطار الوحدة، فالانتماء وحدة تضمّ ما لا يقلّ عن شخصين متقاربين في الصفات المكونة لكل منهما". (أسليم،1998 :16)، ويتنوع الانتماء حسب تنوع العلاقات الإنسانية من مكان وزمان إلى مكان وزمان آخرَين، أيّ أنّ الانتماء ليس ثابتاً ويتغير بحسب العوامل الخاصة بالفرد يعكس الفضاء النفسيّ للإنسان مفصلاً شديد الأهمية من مفاصل التعامل مع المكان أو اللا مكان بما يتضمّنه الموقف والرؤية والمقام والحالة، فمثلما للمكان مفهوم نفسيّ يتلاءم مع طبيعته وظروفه وعلاقة الإنسان به؛ فإنّ اللا مكان أيضاً له المفهوم نفسيّ مضادّ يستجيب للحالة الإنسانية القلقة التي يعيشها الإنسان اللا مكانيّ

إن تنفس المكان بخلجات سايكولوجية يرسم لنا ملامح الأشخاص المرتبطين به؛ لاستنتاج الظروف التي تحيط بالأشخاص من جهة علاقاتها بالمكان وحيثياته ومقتضياته، ومن ثمّ يساعدنا ذلك على تتبع حالات الرفض والقبول للمكان لدى الأفراد؛ لأنّ "المكان يؤثر في صاحبه سواء كان منفتحاً أو مغلقاً، فخاصية المكان لا يُعبّر عنها كهيكل هندسي في الرواية، بل لها أبعاد داخلية نفسية تصف المكان حسب الحياة الداخلية للشخصية". (الهانية، 2022: 60)، إذ هو سلسلة من الظواهر النفسية التي تحدث في محيط جغرافيّ محدّد للمنتج أو للمتلقي، وتترك فيه آثاراً إيجابية أو سلبية تخترق الأزمنة وتخلق أماكن

معدّلة جديدة عن المكان الأصليّ، لكنها تبقى مرتبطة به دائماً يستدعيها التخيّل كلما اقتضت الضرورة (المنصوري، 2019: 243)..

2ـ الدفاع عن الذات:

تعدُّ الحاجة إلى الحرية من أهم دعامات تحقيق الوجود ؛ وهي من القضايا العامة التي تتعلّق بكثير من المجالات الإنسانية سواء السياسية ،أو الأخلاقية، أو الاجتماعية، بوصفها قضية مصيرية بالنسبة للإنسان إذ يسعى دائماً إلى تحقيق حريته سواء ضدّ المعوقات الخارجية التي تتمثل في المجتمع؛ أو المعيقات الداخلية التي تمكث بداخله وتحدّ من توكيد هويته.

تلاشت الحرية الفردية تقريباً داخل الحياة المرسومة في المجتمع الجاهلي المنقسم على طبقة غنية وطبقة فقيرة، طبقة أسياد وطبقة عبيد، وتأسست هذه المعادلة الاجتماعية على وفق غايات جردت منها كل صور العدل بين الأفراد، فقد تميّزت القبيلة بطبقات متباينة تشكل بنية المجتمع على أساس العرض المادي؛

أصبح الصعاليك مثقلين بواجبات كبيرة للدفاع عن بقائهم أحياءَ سالمين فضلاً عن المحافظة عن أفكارهم والتبشير بها في كل حدب وصوب، ضدّ كل من يرفض الظلم والقهر من ذوي السلطة الذين منعوا انتشار العدل مقابل احتكار الأموال عند فئةٍ محددةٍ، فنادوا بتجربة جديدة ذات طابع إنساني اشتراكي في جوهرها العميق أدت إلى اكتساح طبقة واسعة من المجتمع. وقد أعلن الصعاليك العصيان على التقاليد الاجتماعية القاهرة لحقول الفرد، وعدم القبول بالظلم الذي أشعل الجوع والقهر والحرمان في بطون المحتاجين؛ إعلاناً لانفصال كلي عن المجتمع ولقطع الصلة بالمكان الذي عاشوا فيه سابقاً، وحاولوا الانعتاق من ربقة المكان الذي أصبح سجنا لخيالهم وتطلعاتهم على الدوام.

كانت قصائد الصعاليك تؤيد البصمة المرسومة في خيالهم وواقعهم فأصبحت الصور الشعرية غارقة بين الإرادة القوية والذات المعذبة نفسياً بسبب تشظي الأماكن وحياة مدججة بالمعاناة. وقد عبّروا عن معاناتهم بصور تشبيهية وافرة انتشرت بين طيّات أبياتهم الشعرية، كي تحمل هذه الصورُ الهواجسَ والمتاعبَ التي لاقوها في حياتهم على أعنف ما يكون كما أن استخدام الأصوات الجهورية العالية تزامنت مع رفع أصوات الجسد الفخورة بنفسها وبشجاعتها، أما الرمز فيبقى في المرتبة الأخيرة من مراتب جماليات القصيدة وشعريتها مؤاتيةً مع تفضيل العبارات المباشرة ولكي تحمل الأبيات هوية الصعلوك في حياته وأسلوبه التعبيرية، فلمست القصائد العبارات الشعرية بلغة عربية رصينة تتشبث بصور واقعية من صلب الحياة، اعتماداً على الأزمات الاجتماعية كمصدر لإبداعه كما أقرّ (تين ويونج). (سويف، 1951: 317)

و ارتبطت الشعراء الصعاليك بهذا المبدأ الذي يبتغي الدفاع عن حياتهم و يشكل صراعا عنيفا موجها نحو الموت، ليضمن الخوف من الموت إلقائه في قبر يصعب فيه الحركة عبر أرجاء الأمكنة المتعددة.

3ـ الدفاع عن الوجود عند الصعاليك

إنّ الإنسان في تقلّبه عبر الزمان وفي خياله وواقعه والمحن التي يمرّ بها صار يمتلك حتماً قدرا وافيا من الارتباط والوعي بوجوده، فهذا الوجود يضاهي الحياة كلها لأنه وجود يتكفّل بالحفاظ على البقاء ضمن الإطار الذي يتحرك منه وفيه الجسد، في سياق التوغل داخل متاهات الحياة ومطباتها وخفاياها؛ وما يخفيه له الزمن المتقلّب من أمور قد تدعو إلى تفاؤل أحياناً أوتشاؤم أحياناً أخرى، أو حالات أخرى تفسّر هذه الوجوديّة الكائنة في الذات البشرية.

لقد عمَّ الدفاع عن الوجود أرجاء أشعار الصعاليك، تجنبا لأسباب الهلاك والموت التي طالما كانت ملازمة لحركتهم، وحفاظا على مبادئهم التي ارتبطت بحقوق الإنسان داخل المجتمع الجاهلي. فها هو الشنفرى بعد وصوله إلى حافة الموت أكثر تمسكاً بالحياة فرجّح الانفصال الكلي عن المكان ليتشتت بين مكان وآخر بحثاً عن الطعام، بعد وصوله إلى (العوص) الذي يلاحقه الموت بين الانتصار والهزيمة، ويتجلى اللامكان في ساحة المعركة حتى حسم النتيجة ليسجلوا أقصى حد من الشجاعة والقوة على الرغم من الجوع والتعب الشديد:

نمُرُّ برهوِ الماءِ صفحاً وقد طوتْ شمائلُنـــا والزادُ ظَـــنٌّ مغيَّـبُ
ثلاثاً على الأقدامِ حتى سما بنا على العوصِ شَعشاعٌ من القومِ مِحْرَبُ
فثاروا إلينا في السوادِ فهجهجوا وصوَّتَ فينا بالصباحِ المثـــوِّبُ
فشنَّ عليهم هِزَّةَ السيفِ ثابتٌ وصـــمّمَ فيـــهمْ بالحُسامِ المُسيَّبُ
وظلـتُ بفتيانٍ معي أتّقيـــهِمُ بــــهنَّ قليـــلاً ساعةً ثمَّ خيَّـــبوا
وقد خرَّ منهم راجلانِ وفارسٌ كميٌّ صـــــرعنـــاهُ وقرمٌ مُسلَّبُ(يعقوب، 1996: 28).

نلاحظ أنّ الحركة نحو سدّ حالة الفقر والفاقة من خلال اختيار استراتيجية السرعة لضيق الوقت؛ لأن هذه السرعة هي التي تسعفهم في حالات الشدة؛ ليمروا بأقصى حدّ ممكن من الأمكنة التي تساعدهم للوصول إلى الهدف الأصلي، إذ يحاول الشاعر شرح ما قطعه من مسافات والسير في محطات متنوعة؛ حتى الوصول إلى منطقة حاسمة اشتدت فيها الحرب عليهم عقب الوصول إلى لامكان نهائي في هذه الموجة العنيدة، لرسم تجربتهم في الحياة بل لحكاية تجربتهم مع اللامكان.

تتجلّى هذه الصورة من البدء بـ (رهو الماء) وقطعهم مسافات مجهولة مدة ثلاثة أيام (ثلاثا على الأقدام)، ليغنموا ما يأملون في (العوص) وهو المكان الذي يتمثّل نقطة الارتكاز في هذه الحركة. وتتمثل هذه الحركة في مدَّة زمنية اكتظت فيها تفاصيل باهتة تفتقر إلى العمق، وهو الركض بين اللامكان المتعدد والغارة على قبيلة بجيلة بما ينطوي على اللامكان الذي يؤدي دوراً بالغ الأهمية والخطورة؛ لأنه الموقع الحاسم للوصول إلى النتيجة النهائية للحرب الشديدة بينهم وبين القوم.

أصبح (العوص) هدفا لتقليل فاقتهم غير أنه مكان عرضيّ في حدّ ذاته تختفي تفاصيله بمجرد الحصول على مرادهم. وكلّ ذلك يرتبط في النهاية بالدفاع عن وجودهم وبقائهم في الحياة لاستمرار العيش ووقاية الذات من الهلاك، لا تعلقاً ولا انتماءً لذلك المكان، من هنا بوسعنا مقاربة موضوعة المكان بوصفها تنطوي على رؤية ذهنيّة هي التي تحدّد الطاقة المكانية والطاقة اللا مكانية في الصورة.

نرى في ممارسة اللجوء إلى اللامكان في النص أنّ حضوره ليس من أجل العيش مع تجاربهم ومعاناتهم فقط، بل أصبح اللامكان وسيلة الدفاع عن استمرارية الذات، فقد استقبل هذا اللجوء كل إشعاعات الدفاع عن بقائها عبر انتقالات مكانية بل سرد الشاعر لحكاية التناطح مع الموت في كل مكان يمرون عليه، الذي يتلخّص في أماكن وجود الماء تارة والغنيمة المتمثلة في الإبل (الطعام) تارة أخرى؛ للحصول على الحياة المكوّنة من حلقة مفرغة تدور حول الطعام والشراب.

تتأتى هذه الحياة من خلال الانعتاق من قيود المكان والثبات في منطقة محددة، بل إنّ هذا يتمّ في لامكان متشعّب الأبعاد ومتعدد الجوانب ومنكمش المسافات ينأى عنه الثبات الذي يثقل الذات، لأنها بحاجة إلى الهجوم حينا والدفاع تارة والحركة وعدم الثبات تارة

أخرى، وذلك لخلخلة مشكلات الجانب النفسي الذي تعرض له الصعاليك من معاناة واضطراب وقلق وجوديّ وعدم استقرار.

تجذب المعركة القادمة في (العوص) القوة وشدة البأس على الرغم من حرمان الشاعر وزملائه من الحاجات اليومية الأساسية والبسيطة جداً. فعن طريق القتال المتجسّد في هذه الصورة: (شعشاع من القوم محرب، كمي صرعناه وقرم مسلب)يي ستدل المتلقي على أنّ النار وصلت جذوتها إلى أقصى حدّ، وأن الذي يستحقّ النصر هو الأشد بأساً وبطشا. فالنصر محصور في تجاوز الشدة والصراع مع الواقع لتوفير حالة الثبات والبقاء والقدرة على الاستمرار في التحدّي.

تأتي جمالية الأبيات من خلال اختيار مفردات لامكانية تتجلّى فيها دلالات متنوعة وتختفي منها أغراض وعقد نفسية كثيرة، منها الاقتران بمكان الماء والطعام الذي تتأتى منها الحاجة المستمرة للبقاء؛ وقلق الذات على عدم توفير مستلزمات العيش والأزمة النفسية التي تتفاقم يوماً بعد يوم، مع حمل فكرة الشجاعة أينما كان الشاعر؛ لأنه هو المسؤول عن توفير دعامات تشكيل بنية الحياة، والبحث عن حاجات تبلغ حداً أقصى من البساطة للتعبير عن صورة الحياة الطبيعية، وهو يحمل معاناة مشفوعة بالتعب وحمل معاناة العيش كل يوم وفي أي مكان، ليقول الشاعر : إن الحياة مرهونة بأعباء لايطاق حملها إلا هو وجماعته (ثلاثاً على الأقدام)، من أجل الوصول إلى الهدف المرسوم لهم والمرور بالأماكن التي تخلو من الثبات والاطمئنان؛ للوصول إلى لامكان آخر تكمن فيه بؤرة القلق والحرب والاهتزاز المتأرجح بين الحياة والموت.

تتمثل شعرية النص هنا في أنّ الزمان لم يلتزم بالصمت بل شارك لتحديد أصعب لحظة من لحظات الحرب وهي لحظة الهجوم (فثاروا إلينا في السواد فهجهجوا)، لتضيف الظلمة معاناةً للعدو ومعافاةً لهم؛ لأن السواد والبياض مجرد لونين عديمي التأثير عليهم لمهارتهم وخبرتهم في القتال. فاللون المقترن بزمن الليل يحمل نقاطاً سلبية لبجيلة حيث يصيحون ولا يميزون شيئاً عن شيء بسبب الظلام، إلا أن هذا الزمن المحدود هو مفتاح لانتصاراتهم؛ فذلك الذي ينجد الشنفرى هو الزمن الذي يحمل اللون الأسود من دون تشاؤم به، بل إنه يحمل دلالات إيجابية للصعاليك عموماً، لأنهم لا يخشون ترصّد إرهاب قطّاع الطرق ولا التعرض للأعداء،تأكيداً على شدة جرأتهم على البحث داخل رقعة شطرنج مجهولة تجعل من اللا مكان في فلسفتهم الصعلوكيّة المكان الآن الوحيد لهم.

نلاحظ في تحديد المساحات المكانية لدى الشاعر عدم اكتفاء المكان بقياس هندسي محدد، بل إنّ الشاعر حاول قياس المكان بمدى الجهد المبذول لقطع المكان (ثلاثاً على الأقدام)، فضاعت وحدات القياس؛ إذ المهم عند الشنفرى هو الإشارة إلى مدى المكان الذي مرّوا به وليس القياس، كما أن المرور برهو الماء سريعاً يؤكد القياسات الضائعة للمكان، حيث إنه لم يستطرد في التغني بهذه الثروة -الماء- ولم يشر نحو الوقوف على هذا الملمح المميز للمكان. وهذه إشارة واضحة على البحث عن المكان بشكل أو آخر، غير أن رحلة البحث هذه لطالما توصلهم إلى اللامكان (على العوص)، إذ أصبح المكان –على وفق سياق النص- يتكتل استناداً إلى الحاجة وليس تعبيراً عن الأمان والاستقرار.

يكون الصعاليك على هذا النحو بوصفهم الفاعلين الأساسيين في الحكاية قد اجتازوا مكان الماء في هذه اللوحة الشعرية ليجدوا مكان الطعام قلقاً، كي يعيشوا في دوائر لامكانية مؤقتة يتحكم فيه الانتقال والبحث المستمر، فالأماكن عند الشنفرى وأصحابه تتجدد صلاته بهم بين وقت وآخر لأنها مؤقتة تتكفل بالحاجة والمصلحة، كما أن خلوّ هذه الأماكن (رهو الماء ،والعوص ،وأماكن المشي) من تأريخ ينفي إعطاءهم الهوية الثابتة، ونعني بالهوية الانتماء الثابت للمكان، إلا أن هوية الصعلوك كانت هنا غير ثابتة وخالية من الانتماء الذي يجب أن يتحقق للمكان في ذات الشاعر كي يصبح مكاناً شعريا أصيلا. تتجلّى فاعلية اللا مكان هنا من عتبة ما تطرحه الأبيات الشعرية من أمكنة قلقة ومتحولة وغير قادرة على الثبات، على النحو الذي يجعل الشاعر يدنو من فكرة عدم الاطمئنان للمكان وعدم الإيمان به كي تكون صفته الوجودية صفة نافية، أي أنّ المكان الحاضر في المشهد الشعري هو لا مكان في ردّة فعل الشاعر بوصفه الفاعل الأول في التفاعل مع المكان وتلقيه، ومن هنا تتأكد الحساسية اللا مكانية للشاعر الصعلوك وهو لا يتعامل مع الأمكنة المطروحة بما يكفي من الانتباه والتركيز، فهو يعبرها ولا يلتفت إليها كثيرا كي يحقق لا مكانيتها داخل مضماره الشعري الوجودي.

نجد أنّ الشنفرى يعرض مشهداً زمنياً قصيراً مأهولاً بالأحداث المشتبكة بحراك درامي متنوّع الاتجاهات والسبل، يحاول كشف انكماش المكان بسبب سرعة حركته على الرغم من هزال جسمه، وفي تصوير مسرحيّ مشبع بالحالة الدرامية عن حالة الذات وتموّجاتها بوصفها راوياً شعرياً ذاتياً مشارِكاً:

وليلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها   وأقطُعـَهُ الـلاّتي بها يتنبَّـلُ
دعستُ على غطشٍ وبغشٍ وصحبتي   سُعارٌ وإرزيزٌ ووجْـرٌ وأفكلُ
فأيَّـمتُ نسواناً وأيتـمتُ إلـدةً   وعدتُ كما أبدأتُ والليلُ أليلُ
وأصبح عنّي بالغُميضاءِ جالساً   فريقانِ: مسؤولٌ وآخرُ يسألُ
فقالوا: لقدْ هـرّتْ بليلٍ كلابُـنا   فقلنا: أذئبٌ عسَّ أم عسَّ فرعُلُ
فلم يكُ إلا نبأةٌ ثمَّ هَـــوَّمتْ   فقلنا: قطاةٌ رِيعَ أم رِيعَ أجدلُ
فإنْ يكُ مِنْ جنٍّ لأبرحُ طارقاً   وإنْ يكُ إنساً ما كها الإنسُ تفعلُ (يعقوب، 1996: 69ـ، 71)

إنّ عملية الدفاع عن الذات هنا تصل إلى ذروتها في التجرؤ على هذا القتل المفعم بالغضب من خلال التعبير الصريح عن مستوى الجريمة وطبقاتها وتأثيرها داخل الفضاء الشعري (فأيمت نسواناً وأيتمت إلدةً)، ليبين غلظته للآخرين وليلقي صوت ذاته الممزقة الجدباء مثل الصحراء القاحلة التي تبخل بما فيها من الخيرات، فالنمط المتوفّر من صورة الشخصيّة رسم الذات المقموعة المشغولة بالكفاح؛ من أجل الحفاظ على وجودها بل على وجود زمرة الصعاليك ضمن فضائهم الكوني المشغول بالموت في صوره المختلفة، وكانت عملية القتل قد حصلت على مشروعيتها كونها وسيلة البقاء والاستمرار في الحياة، بل يتطلع الراوي الشعري إلى الدفاع عن مستقبلهم مهما حملت من صور قاسية.

كانت هندسة المكان وقد تجرّدت منه الصفات المكانية تتوزّع حسب أجزاء الليل المظلمة عبر المسافة المحددة من مكانهم إلى مكان الغارة، إذ إن السرعة حرمت الشاعر من حضور المكان في كينونته ذات الأبعاد القياسية الواضحة المعروفة، لأن هذه السرعة أعاقت الشاعر من أن ينتبه إلى جوانب المكان وزواياه وتفاصيله، لتغيب عنه حدود الأشياء وعوالمها المكانية؛ وما هذا الغياب سوى تحويل ضمني للمكان إلى لا مكان لأنّ المكان يثير الانتباه ويحقق لدى الرائي قدرا مناسبا من الاستقرار الرؤيوي.

ساعد هذا الأمر على فتح باب الغموض والالتباس في درجة من درجاته على نوع من المكان المحدد، وانفتاح الباب على اللامكان، فالتطرّق إلى قياس السرعة وضيق مساحة الوقت بدت واضحة عند الشنفرى إذ بلغت أقصاها استنادا إلى (دعست، عدت كما بدأت والليل أليل، وإن يك إنساً ما كها الإنس تفعل)، فهذه الصور اللامكانية تنبعث فيها السرعة التي كان الجوع (سعارٌ) دافعها، كما أن الجوع لم يأت وحده بل سبقه غيره من ألوان المعاناة؛ لأنه محتشد بـ (سعارٌ وإرزيزٌ ووجرٌ وأفكلُ)، ولا شكّ في أنّ عامل

السرعة في المشهد الشعريّ لا يعطي فرصة للأمكنة أن تتشكّل بصريّاً على النحو المناسب، مما يضعف طاقتها المكانية ويحوّلها داخل أفق المشهد إلى صورة لا مكانية.

إنّ المعاناة المزروعة في حياة الشاعر وتجربته ومعاناته من (الجوع والظلمة والبرد والارتعاش) أدّت في حياة الشنفرى إلىالاعتماد على اللامكان، في التنقل بين أمكنة وأخرى، وعدم الإصغاء إلى إيقاع المكان وروحه في كل مكان يكون فيه، وهذا مما يفرض عليه اتخاذ القرار في استسلام الذات أو مواجهة ما فرضته الحياة عليها، وما نطالعه في النص من أنّاختفاء صفات المكان والحركة في سرعة مفرطة جاءت بسبب المعاناة وليس اختيارا من الشنفرى، وأن هذا الاختيار للصعاليك ليس إلا نتيجة ضغط الحياة وقساوة العيش وعدم الثبات والاستمتاع بمكان محدد ومقاطعة العاطفة المكانية الخاصة بهم.

كما أن التعايش مع اللامكان أتى عن طريق الخوف والقلق من وجودهم غير المستقرّ فيما يتاح لهم من أمكنة متعددة لا ثبات لهم فيها، لأنّ المكان بصفاته الثابتة المحددة يسهم في تقويضهم وهلاكهم وتهديد وجودهم في الحياة، فالجسد المستقر في مكان محدد ومستقرّ يتعرض للهلاك إثر الجوع وأكثر تعرضاً للقتل، لذا تحوّلت هذه الأمكنة كلّها إلى أمكنة معادية لا توفّر الأمان ولا الاستقرار ولا الكينونة المكانية الأليفة، على النحو الذي يجعلها ضمن هذا السياق التشكيليّ لا أمكنة.

ومن أجل الدفاع عن وجودهم واستمرارية الحياة لجأوا إلى الظلمة (الغطش، الليل أليل، لأبرح طارقاً)، لما في الليل من الخفاء والتستر، وليعطي الشاعر الصعلوك ولادة ثانية ونجاة من مخالب الموت المحقق في جوف الصحراء.ومن جانب آخر فإن وجود حواجز مثل (زمن الليل، السواد، وقت الشتاء والبرودة) لا يؤثر في حضور اللامكان في حياتهم بشكلٍ مستمر، بل إنه شاهد على تعلق اللامكاني غير مشروط بزمان أو حالة محددة.

لا يتوقف الشاعر عند تصوير المسافة الجغرافية في الذهاب والإياب لوصف مشاهد لامكانية ينفي فيها صورة الحضور المكاني الأليف، لذا فقد عُني بشرح مافعله في مكان القوم الذي أغار عليهم كي يؤكّد هذه الصورة ويمنحها القدر الكافي من التشكّل الشعري، فخطواته السريعة الخفيفة جعلت الكلاب لا تستشعر حقيقة ما حدث (لقد هرت بليلٍ كلابنا)، أي أن صوت الكلاب المنخفض لا يدل على وعي الكلاب بهذا الهجوم الخاطفالخطر، على النحو الذي ينفي قدرة المكان لاستظهار قوته المكانية داخل المشهد ممّا يحيل على لا مكانيته من خلال انتفاء هذه القدرة على الحضور.

صار الشنفرى يتردد ضمن هذا الفضاء الشعري اللا مكاني المهيمن على حساسية الصورة بين مكان وآخر ويقتل واحداً تلو الآخر من دون رد فعلٍ من الطرف المقابل، فهذه السرعة الفائقة قلّصت المساحة المكانية وسجلت له نقطة إيجابية فريدة من نوعها، وهي الفخر بالقوة والسرعة الكفيلين بالحفاظ على رحلة الدفاع عن النفس وحفظ الجسد غير المتعلق بمكان محدد، لأنّ نفي المكان بهذه الصيغة يجعل الفاعل الشعري حرّاً في عدم الانصياع لضغط المكان حين يكون ظاهرا وبارزا.

صارت الصورة اللامكانية المرسومة داخل فضاء النص مشهداً مقتبساً من تجربة الحياة التي يعيش فيها الشاعر، نظراً لعلاقة الجسد بالمكان، فالاستقرار يشكل تأريخاً حياً للإنسان يجعل العلاقة بين الجسد والمكان أصيلة لا يمكن فكّ ارتباطها أو التلاعب بقوّتها، وعاملاً مهماً لارتباطه بالأمكنة بوصفها أحد أهم مكوّنات الهوية، وتجربة الشعراء الصعاليك هنا تمثّل روح المكان وليس المكان بذاته على النحو الذي يحيّد الأمكنة ويسلب منها كينونتها المكانية القارّة.

إن الانتقال الدائم يفند فكرة المكان الوجودي الأصيل بأبعاده التقليدية المعروفة القائمة على الاستقرار والألفة وتطوير الفعل المكاني داخل الذات والوجود، ويحوله إلى لامكان مفتوح الأبعاد تتجول فيه الذات بحرية أكبر دائماً بحثاً عن المكان والاستقرار، فالعلاقة بين الذات الشاعرة بوصفها راويا شعريا مشاركا واللا مكان هنا هي علاقة تكشف عن أنّ الشاعر انطلق في مشروعه الصعلوكي أساساً من نقطة لا مكانية، ترك فيها كينونة المكان المستقرّ بشكلها الثابت وانطلق نحو فضاء لا مكاني يضمن له أكبر قدر من السريّة في الحركة والفعل والإنجاز، وهو يحتاج إليه في تشكيل صورته وتنفيذ رؤيته التي لا تحتاج المكان بل تحتاج إلى الزمن.

ينطلق الشنفرى في لامكان (مكان الإغارة) ليرجع إلى لامكان جديد يتجدد فيه خوف الذات من الهلاك (المكان الذي يعيشون فيه وكان خالياً من أي مقوّمات مكانية إنسانية مناسبة)، وفي حالات عديدة يحاول الشاعر الصبر على معاناة اللامكان (فإني لمولى الصبر أجتاب برّهُ على مثل قلب السمعِ والحزمُ أفعلُ)، ولكن سرعان ما يأتي الخوف رافعا نموذجه اللافت فيسدل ستاره عليه، بمعنى أن عنصر الخوف يهدّد استقرار المكان ومثوله بين يدَي الحالة الشعرية، وهذا الخوف لدى الشاعر الصعلوك هو حالة دائمة لا يمكن أن تنتهي بوصفها شخصاً ممدّداً من أطراف متعددة، لذا فهو لا يأمن للمكان ولا يثق به مما يجعل شخصا لا مكانيا ولا يبحث عن استقرار مكاني معيّن.

يخوض الشاعر صراعاً عنيفاً للخروج على ما تآلف المجتمع عليه اتباعاً لمتطلبات الذات الصعلوكيّة والحصول على ما يساعدها على الاستمرار (دعست على غطش.....)، فالتجول بين محاولة الصبر (الاستقرار المؤقت) والتحرك (الهجوم)، تحقق اتساعات مكانية تتوافق فيها العيش، دفاعاً عن وجودهم ومحاولة الكشف عن صراعهم مع الحياة القاسية المتأتية من قسوة الصحراء والجبال والأودية المنتشرة في أمكنة متعددة، وبصفتها لا أمكنة قادرة على حفظ أمنهم على الرغم من قسوتها المعيشية الوجودية، فالحركة الصعلوكيّة والصراع الصعلوكي مع المحيط الطبيعي والبشري يحيل دون التشبّث بالأمكنة المتاحة، ويحوّلها ضرورة إلى أمكنة معادية تكون بالنسبة للشاعر الصعلوك لا أمكنة.

كما أنّ للشاعر علما واثقا وأكيدا في أن خطوات حياته تتوقف مع التفكير بمكان ثابت يحددالحركة المستمرة ويجعل منه هدفاً واهناً للأعداء، لذلك فإنّ حضور المكان القارّ الثابت لا ينسجم مع حياتهم والغارات الدائمة التي يقومون بها بين وقت وآخر؛ لذلك لم يستطع المكان أن يصنع تأريخاً لهم يكون قادراً على أن يحقّق الانتماء المطلوب له بوصفه هوية واضحة وأصيلة بل لم يأبهوا حتىللتأريخ برمّتهأصلا؛ لذلك فقد أضاعوا رغبة امتلاك مكان محددوفضلوا حرية التحرك بين مسافات لا حدود لها، هي التي تستجيب لحالهم وفلسفتهم في إنجاز أطروحتهم في الحياة وهم يرفعون شعر اللا مكان عنواناً لهم وهويّة لعلامتهم الشعرية.

إن القياسات التي تتجلّى في المنظور الصعلوكي على مستوى التشكيل اللا مكاني تكون مقسّمة على تجوالٍ مستمر في ليالي الصحارى السوداء، بمساعدة الجسد الذي قد ينهكه الحرمان من وسائل الراحة والاستقرار والأمان، فتتلاحم كثير من الأسباب التي تجعل من المكان صورة فضائية بعيدة عن متناوله. لأن الحرية في هذا المضمار تسهم في بناء حجمها ضمن تحديد صور لامكانية؛ نظراً لما تعنية الحرية من عوامل التحرر من القيود والخوف العوز وأن يفعل الفرد ما يريد أن يختار لنفسه ويفكر بوحي من نفسه، بما لا يجعل للمكان قيمة بالنسبة لشاعر مطاردٍ ومطارَد في الوقت نفسه (الحفني، 2005: 55).

يمكن النظر إلى قضية الاستمتاع بالسرعة ولا سيما لدى العدائين من الصعاليك مثل (الشنفرى، وتأبط شراً، وأبو خراش الهذلي)، بوصفها ثيمات لا مكانية، تتحدى المكان وتتجاوزه بسرعة قصوى للحصول على ما يساعدهم على الارتياح الجزئي والعيش لوقت موجزة في حالة موجزة، وهذا هو الذي يُستنتَج منه جغرافيا لامكانية تضيع فيها القياسات التقليدية من خلال تحديد أجزاء وكيفيات وخصوصيات المكان نفسه؛ بسبب عدم الانتماء

لمكان واضح ومحدد والإيمان باللا أماكن التي ساروا فيها، فالسرعة على وفق مفهومها الفضائي تعمل على إلغاء المكان ومحوه من دائرة الفعل الميداني الإجرائي.

نجد أنّ صورة الشاعر الصعلوك الذي يتميّز بالسرعة الفائقة في الجري تختصر الفضاء العام وكأنما "كلاً من الزمان والمكان قد تلاشيا بداخل تلك البقعة وتوحدا معه". (موسى، 1983، ص 79) وعلى الرغم من ذلك فقد حاول الشعراء الصعاليك بهذه السرعة التي تعدّ سلاحاً مهماً من أسلحتهم للسيطرة على الأماكن والقضاء على هيمنتها على الفضاء الطبيعي والاجتماعي والثقافي مجتمعياً، ولكن اللامكان هو الذي غذّى أفكارهم بنوع من الحماية الضمنية التي تحول دون قدرة الإعداء على اقتناصهم.

اضطر الشاعر الصعلوكي في هذا السياق أن تكون السرعة في الحركة واحدة من أهم صفاته الشخصية، حين ينجح في إخضاع مساحات لامكانية لسد حاجات بايولوجية ضرورية تخصّه مثل (الجوع والعطش على نحو خاص)، فوضع اللامكان بصمة وعلامة سيميائية قارّة في شعورهم الذاتي المحاصَر للخروج من ضيق المكان الطبيعي والإنساني؛ إلى ضياعٍ آخر أزيح منه الاستقرار والأمان، بينما أصبحت الشجاعة والسرعة ستراً لكل ما يمتلكونه في الحياة من متاع، وعلى رأسه الدفاع عن وجودهم وديمومة حياةٍ غير مضمونة الاستمرار، والمستوى الجماعي الذي يعيشون فيه داخل القبيلة من دون أن يعرفوا الموقع الحقيقي منه، حيث تشترك معهم القيود التي تفرضها الحياة الجماعية (نحن) ولا تخلو في طياتها من عناصر التهديد لأعضاء هذه الجماعات، على صورة تخلو من الصبر والاطمئنان. (زيدان، 2002، ص 63).

تتوفر الحماية عند الصعاليك عبر وسائل متعددة منها الفرس والإبل كوسائل للحركة؛ والسرعة والشجاعة والإقدام كصفات ذاتية، وتعدُّ هذه الوسائل أدوات ينتج عنها تشظّي المكان وعدم ثبوته. فهاهو (السليك بن السلكة) يحزن على فراق فرسه الذي كان مصدر الدفاع عن ذاته، ويساعده في غاراته التي أصبحت مصدراً مهماً لالتماس قسط من التفاؤل والحصول على اطمئنان جزئي في مزاولة حركية الذات لحياتها في برهة من الوقت:

كأنَّ قوائـم النحَّـامِ لمَّــــأ   تحمَّـلَ صحبتي أُصُـلاًّ محارُ

على قرمـاءَ عاليـةٌ شِــواهُ   كــــانَّ بياضَ غُـــرَّتـهِ خمارُ

وما يـدريكَ ما فقــري إليهِ   إذا ما الـقومُ ولَّــوا أو أغـارو

ويُحضرُ فوقَ جهدِ الحُضرِ نصَّا   يَصيـدُكَ قافلـاً والمـــخُّ رارُ (حرب، 1996: 89)

تشاطر الشاعر وفرسه التعب والمعاناة الحاصلة بينهما من أجل الدفاع عن الذات وتحقيق الانتصار الذي لا بدّ منه، فالعامل النفسي من جراء هذا التعب يدفع الإنسان إلى التقلب في أماكن مختلفة لا يستقر فيها على مكان ثابت، كونه يعكس أحداث الحياة الواقعية التي يعيش فيها الشاعر بمستواها الخارجي والداخلي معاً؛ فكلاهما (الشاعر وصاحبه الفرس) فشلا في إنجاز الصورة الأنسب للمكان والتعايش معه (أصُلاً محار، عالية شواه، إذا ما القوم ولوا أو أغاروا، الحضر نصا)، فهذه مفردات إشارة إلى الخوض في الغارات والسرعة في الحركة، أما رصد مفردات (الحُضَّر نَصَّا، محار) فيقود إلى استنباط دلالات سرعة السير عبر أماكن متعددة من دون التركيز على النقاط الجغرافية وقياسها.

يتساقط الإحساس بالمكان مع هذه السرعة في حركة الأشياء ومتعلّقاتها وحيثياتها؛ وتبدأ رحلة الغور في أعماق اللامكان، كما أنها يتحملان الصعاب والحركة الدؤوبة (يصيدك قافلاً) على الرغم من الضعف الجسدي الذي قد يصيبه جرّاء هذا الحراك غير الطبيعي (والمخ رار)، فاستقر النصّ في هذا المضمار السيميائي على دلالات عدم الثبات، من خلال بيان عرض كاشف للسرعة والمرور السريع على معطيات مكانية ابتداءً من تشبيه قوائم الفرس بالمحار الذي ينزلق منه الفارس لأنها ملساء (حيث ينمحي الثبات والاستقرار)، وربما إن وجه الشبه هنا يتجلى في البريق واللمعان في وقت العشاء الذي يتحدث عن نشاطه في وقت الليل، ليبدأ غاراته مع صاحبه ويكون شريكاً معه في تقسيم معاناة الذات والسرعة واللامكان؛ الذي سيسفر عن لغة تشبيهية وصفية ناجمة عن رثاء الفرس الذي شعر السليك بسطوة الشعور بالضياع في بيئة مفتوحة المخاطر.

إنّ الدعوة هنا شمولية (لدى الشاعر) للعيش في مساحات لامكانية متعددة بحثاً عن الأمان في ظل الغارات الليلية المتواترة، فالذات بدأتْ تراودها هواجس غريبة إثر افتقادها وسيلة الحركة والحماية (وما يدريك ما فقري إليه)، فهنا يتخلخل مفهوم المكان فبدل أن يكون الثبات والاستقرار وسيلة للأمان والحماية صارت الحركة والسرعة وعدم الالتصاق بالمكان وسيلة للأمان، ولا شكّ في أنّ ما يحصل من تغيير في المفاهيم المكانية لدى الشاعر الصعلوكي يكشف عن طبيعة التجربة وحيويتها، فالتجربة هي التي تعيد صياغة المفاهيم وتنتجها على نحو جديد يستجيب لها ويتلاءم مع معطياتها وحساسيتها.

تشكلت التجربة المكانية من خلال حمل قيم ووظائف رمزية منها تصوير قوائم فرسه (عالية شواه)، على قرماء ليتحول العلو المكاني إلى سمة من سمات الحماية والدفاع عن النفس، وكأن ظهر فرسه العالي تحوّل إلى مرقبة يلجأ إليها الشاعر وقت الشدة والخوف من الأعداء، فاستوحى الشاعر من فرسه صورة فنية ناطقة بأنه الوحيد الذي يستطيع مساعدته، فالعلاقة بين الشاعر الصعلوكي وفرسه علاقة جدلية وجودية صميمية لا يمكن التفريط بها مهما كانت الأسباب، وربما يكون ظهر الحصان هو المكان الوحيد الآمن بالنسبة له؛ وما دون ذلك من أمكنة فهي بلا أدنى شك لا أمكنة.

يستمر السليك ليكمل القصة في التركيز على صور القلق والاختفاء (كأن بياض غرته خمار) بناءً على ما رسمه من تشكيلات ومشاهد شعرية، إذ إنّ هذا البياض كان مستحسناً عند العرب في الجاهلية لكن الصورة الجديدة تتمثل في وصفه (البياض) بأنه خمار، فالخمار يصور الحالة النفسية السلبية التي ارتسمت في سريرة الشاعر كبقعة داكنة من خلال المغامرات والخوف والهروب بين مكان وآخر، آملاً أن يحوّل اللامكان إلى مكانٍ مؤقت في مسيرته البحث عن مكان آمن، فستر الخمار تعبير عمّا يأمله الشاعر في حياته غير المطمئنة، لذلك جمع النص بما فيه من حالات تتأرجح بين لامكان ومكان حيث يتمثّل ظهر الفرس للحماية الجزئية أو للانطلاق بواسطته إلى لامكان جديد من الصعب الانفلات منه.

سجّل النص أعلى درجات الدفاع عن الوجود عن طريق الصفات المكانية واللامكانية التي أعطاها للفرس، وانعكاس ذلك على حياة الشاعر وحراكه داخل فضاء محفوف بالمخاطر لكنّه ضروري لما يمكن أن يأتي به من أفعال وممارسات، فالفرس علامة لا مكانية تعطي للفارس المطارَد مثل شاعرنا الصعلوك قدرة على تمثّلها سيميائيا بوصفها تعويضاً عن المكان المفقود، فهو لا ينطوي على أي بنية مكانية طبيعية يمكن تقبّلها والتفاعل معها في ضوء معادلة فضائية معروفة، لكنه مع ذلك يؤدي دوراً مكانياً قادراً على إنقاذ فارسه في أكثر من صيغة وضمن أكثر من فعالية وممارسة.

أما "تأبط شراً" فعاش في حقيقة لامكانية محاكاة لما مرّبه رديفه وشبيهه (الشنفرى)، حيث تمكن من العيش في لامكان تمخّض فيه السعي وراء حرية لا ينتهي حدودها تأكيداً لصفة الشجاعة، التي كانت كفيلة ببقائهم في حياة مضطربة قلقة تقوم على الهجوم مرة والدفاع مرة أخرى، إذ تدخل الذات هنا في مسار مهزوز بين الفناء والعيش، كما تحاول أن تستعيد الصورة المرسومة نفسها عند "السليك"أيضاً في اللجوء إلى (المرقبة والفرس) حيث يقول:

ومُرقبةٍ يا أمَّ عمروٍ طِمرَّةٍ   مذبذبةٍ فوق المَراقبِ عيطلِ

نهضْتُ إليها من جثومٍ كأَنَّها   عجوزٌ عليها هِدمُلٌ ذاتُ خيعلِ

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v7n2y2024.pp246-254

ونعْلٍ كأشلاءِ السُّمانِي نبذتُها إلى صاحبٍ حافٍ وقُلتُ له انْعَلِ
وقِرْبَةِ أقوامٍ جعلتُ عَصامَها على كاهلٍ مِنِّي ذَلُولٍ مُرَحَّلِ
ووادٍ كجوفِ العَيرِ قفرٍ قطعتُهُ بهِ الذئبُ يَعوي كالخليعِ المعَيَّلِ(حرب، 2003: 61، 62)

تتشكل الأبيات في تزحزح واضح بين الصور الكثيرة الزاخرة بمعاني التردد وعدم الثبات، وهي هذه الأبيات التي تروي قصة شخص مطارد بين مكان وآخر، وتتحرك في حدود لامكانية يحزم فيها الشاعر أنّ الفكرة نفسها تتدافع في مضمارها من دون تردد وخجل بين حالة وأخرى، عن طريق عرض (المرقبة) المكان المفضل لما يحمل له من حماية ممكنة لذات الشاعر، فهي مكان يأوي إليه الصعاليك وقت الشدة والهروب، لذلك زينها "عروة" بأوصافٍ تتأكد فيها لإمكانيتها بما فيها من حماية زائلة ووقتية؛ حيث لا تتوافر فيها دائماً الحاجات الإنسانية الأساسية من الاطمئنان الكلي الخالي من الخوف والثبات. يثبت الشاعر هذه الرؤية علىالرغم من وصفها بأنها سلاح فعال إثر ارتفاعها (ومرقبة عنقاء) تعطي الشاعر القدرة على الاختفاء السريع مثل الجواد السريع الذي لا يلحقه أي شيء، وصولاً إلى تغزّل الشاعر بهابأنها طويلة وجميلة مثل الامرأة الجميلة الطويلة العنق، لكي تمنحه حماية أكثر من المراقب الأخرى، وما أراده الشاعر في مسألة الحماية هو أن المرقبة لا تنجح بنفسها لحماية كافية بل يجب أن تتحلى بطاقة الاختفاء (طمرّة) للوصول إلى أعلى درجات حماية الذات من العدو، تشبيهاً بحالة الفرس في أنه يختفي في لحظات من الزمن ويحتفظ بنجاته داخل رؤية لا مكانية عميقة.

يزيد هذا الشعور اللامكاني استناداً إلى هذه الرؤية الشعرية التي يحاول الشاعر ضخّ المرقبة على هذا النحو، حيث كانت لا تعطي الحماية الكلية وحدها وأن حمايتها مشروطة بالاختفاء الذي لا بدّ منه كي تتمكّن من أداء وظيفتها على الشكل المطلوب. وهو يعطيها عدداً من الانتقالات بين حينٍ لآخر ويوحي وجود المرقبة واختفاؤها بالحالة المكانية القلقة التي يعيش فيه "تأبط شراً"على نحو خاصّ والشعراء الصعاليك على نحو عام، وهي حالة مزمنة بحكم طبيعة الحياة القائمة على التحوّل والمطاردة والكرّ والفرّ التي يعيشها الصعاليك من أجل تحقيق أهدافهم.

زادت صورة الفرس[1] المستعارة للمرقبة من تشتيت العلاقات المكانية ؛لأن الفرس أداة للعبور الفيزيائي من الأماكن المتعددة من دون الالتفات إلى زوايا مكانية محددة. وتتعمق فيه حساسية الانفتاح المكاني من خلال البحث المستمر للوصول إلى مكانٍ يستقرون فيه مؤقتاً، لأن الفرس وسيلة للعبور وملجأً مستمراً لذواتهم بين لامكان وأخر حتّى آخر الشوط.

اشترك النص في وصف معاناة الحياة المزروعة في جسد "تأبط شراً" من خلال صورة تشبيهية (كأنها عجوز عليها هدمل ذاتخيعل)، وكأنّ المرقبة سطّرت صفحات نفسيته المهمومة الذائبة وسط تعرجات الحياة ومحطات يمرّ الشاعر بحالة واضحة من البؤس في وسط مرقبة صعبة الجوانب ومعقدة شبهها بوجه عجوز ذات تجاعيد وثياب بالية، وهذا يدل على قلة الأمل وصعوبة التجديد هناك في المرقبة؛ بل السير على ما آلفه "تأبط شراً" في اللجوء إلى المرقبة لمدة زمنية قصيرة، وبعد ذلك النهوض في منتصف الليل ليبدأ بتنفيذ خططه للهجوم مرة أخرى (نهضت إليها من جثوم)، وهذا يعني أنّ لفظة (جثوم) لا توحي بالمكوث الدائم الذي تستدعيه مستلزمات المكان من الراحة التامة والعلاقة المستمرة الموصولة بالمكان، ولا تشير إلى تأريخ يربطهم بأقوامهم، نتيجة لدغات الفقر والجوع والحرمان وكلّ ما يتعلّق بالحاجات التي يفتقر إليها الشاعر الصعلوك وهو يبحث عن ملاذ مكاني أو زمني أو رؤيوي.

ترسم هذه الحساسية الشعرية الصعلوكية دلالات البحث المستمر والتجوّل الدائم في بطون الصحراء وطبقاتها وعلاماته الإيجاد جدل أصيل بين البحث واللامكان، إذ هي أحدى الركائز الأساسية (ووادٍ كجوف العيرِ قفرٍ قطعتُهُ) في الحياة وتكملة مسيرتها على الرغم من أنّ البحث مؤسطر بصيغة الضياع والتشتت في الصحراء الممتدة الواسعة غير المحدودة الأطراف، إذ "شكل هذا الامتداد علامة دالة في كثير من الأحيان على شخصية الشاعر الصعلوك؛ الباحث عن الانعتاق والتحرر من كل القيود التي قد تمليها الالتزامات القبلية... وهو المساحة الأولى والمسرح الأبرز الذي دارت حوله أو فيه أحداث أشعارهم". (الهادي، 2015: 99)

كما أن التشبيه الموجّه إلى المرقبة وإعطائها صفة العجوز يمحو من هذا المكان صفته المكانية، من حيث إن الشاعر يشم منه رائحة الموت إن بقي فيه مجدداً؛ وينال منها صورة من مظاهر الطبيعة القاسية التي يصعب على الإنسان (عدا الصعاليك) تحملها، لأن العجوز ذا الملابس القديمة قد ترمز طبيعته وهيأته إلى الاقتراب من حافة الموت، وهذا يدل على كشف الوجه السلبي في ذات الشاعر تجاه المرقبة.وعلى الرغم من أنها تتجلى فيها الحماية والتفاؤل المشروط والمؤقت؛ غير أنها ملفوفة بنهاية خطيرة وهي الموت؛ ويحاول الشاعر أن يصطاد التخلص منها بدل البقاء؛ لخلوها من الطعام والشراب والأمل التام، بما يجعل منها في نهاية المطاف لا مكان حين تنتفي صفتها المكانية في علاقتها بالإنسان.

انتقل الشاعر إلى جهات أخرى من أجل الهرب من الأزمات النفسية الخانقة بهدف الحصول على حماية ما للجسد؛ منها (النعل، والماء) الذي يتسرب منها تآكل العناصر المكانية والتوجه نحو الحركة المستمرّة واللامكانية؛ لأنّ عملية التنقل هذه لم تكن محددة الأبعاد الهندسية وخارجة عن إطار الملكية الخاصة، إذ إنّ التجوال المستمر للشاعر في هذه الجغرافيا أضاع فيه جذوره، لأن الآتي هو الصحراء الشاسعةحيث يشكّل الماء حاجة لا يمكن الاستغناء عنها فدونا الموت (ذلول مرحلٍ، قفرٍ قطعته)، كما أنّ تموّجات اللامكان لا تنقص من الوحدات النفسية السلبية التي تعاني منها الذات القاهرة الذليلة، وهي تبحث عن حماية نفسها (ذلولٍ مرحلٍ) من الهلاك والموت.

إن لفظة (إنعلِ) ترمز إلى قطع مسافات مكانية بعيدة واستعادة ما تمرّس عليه الصعاليك حين تفرض عليهم مجابهة القوة بالقوة، تجاه الصحراء والوديان والمراقب العالية المعقدة وكل ما يفرضه اللا مكان عليهم من أخطار محدقة لا تنتهي ولا تتوقف، كما أنه انهيار لحالة النفسية لما يجدونه من معاناة بالسير الدائب بأقدام عارية؛ والوصول إلى أعلى درجات العوز والفقر من دون تراجع ولا إحساس بالهزيمة، وهذا مما وضع النص في فضاء المفاهيم والدلالات المتعددة، بل أراد "تأبط شراً" أن يعبّر عن جلّ فكره ومبادئه في نصٍ واحد، من إظهار القوة والمعاناة والبحث والحالة النفسية والارتحال المستمر في بوتقة واحدة، وكلّها إذا ما تأمّلنا النص جيداً تركن إلى ما يتمخّض عنه اللا مكان من وضع مأساوي يهدّد بمصير مظلم دائماً، تقابله العزيمة والأمل والجدوى في المضي نحو مواصلة المسير لبلوغ الأهداف الكبيرة.

بدأت رحلة جديدة عند "تأبط شراً" بترك المرقبة والالتقاء بالوادي والصحراء ليكتسب الجسد حماية جديدة وهي الوقاية من آفة الموت خلال البحث عن الماء والأكل، ومن هنا وصل الشاعر إلى النقطة التي استهل بها حياته وهي البحث المستمر والالتحاق بأمكنة جديدة، فنجد أن النص بحساسيته ونوعية خطابه يصرّ على البقاء في هذه الدائرة المفتوحة التي تتشكل على أوتار محددة؛ وهي تأسيس العيش في الوديان والقفر والمراقب بمصاحبة الحيوانات الشرسة (به الذئب يعوي) لتجنيب الذات الذل والهوان والقهر الذي تفرضه القبيلة، فاختار التشرد ليكون الحل الأمثل لحياتهم والحفاظ المستمر على المبادئ

ورفع الظلم عن المجتمع، وأغفلوا قضية الإحساس بالمكان الذي يتّف بالشمولية والبقاء والثبات.

إن مشاركة الحركة في صورها المختلفة وتأثيراتها الدرامية في المشهد الشعري والبحث عن مكانٍ آخر بديل ضاعفت من أزمة الشاعر؛فسطوة الشعور بالضياع تزداد من أجل العبور نحو مكان مفتوحالمخاطر تنتفي فيه المكانية، وبقيت الذات على هذا النحو تتعلق بهوية لامكانية كعلاقة الجسد بظله، إذ أصبح البحث عن المكان والانتقال المستمر هاجساً غامضاً يراوده، ووقع الشاعر تحت سيطرة العبور السريع في وادٍ مخيفٍ تعيش فيه الذئاب،فالصعاليك لا يأبهون بما يتعرضون له من مخاطر وأهوال ومصاعب من أجل أطفالهم وحفظهم من الموت جوعاً.

استطاع الشاعر أن يرسل رسالته ب على نحو مبدع عبر دمج مشاعره بمشاعر الذئب في حالة الجوع حيث لا يراعي شيئاً إلا سدّ جوعه وحفظ الجسد من الهلاك، كما أراد أن يشبه شجاعته بالذئب الذي يحفظ أطفاله من الموت، وانسجمت ذاته في كينونة منسجمة بالشجاعة الخارقة من خلال دلالة فعل القطع (قطعته) لمسافة الوادي بدل ألفاظ مكانية أخرى تدل على السير في الوادي مثل السير والرحل والمشي، وهذا الذي أعطى منطقة العبور سرعة أكثر ليترك الوادي ويلحق بلامكان آخر يحفظ فيه وجوده لوقتٍ محدد، بمعنى أن الصفة اللا مكانية تسير جنباً إلى جنب في المنظور الصعلوكي مع كل الصفات الأخرى التي تشكّل هذه الشخصية وتصوّرها وتعطيها قوة حضورها في المشهد الشعري.

تتكشف شعرية الدفاع عن الوجود في تجربة الشعراء الصعاليك عن فلسفة هذا الوجود الإشكالي داخل حاضنة لا مكانية تتلاءم مع طبيعة حياتهم، ففكرة الوجود بالمعنى الشعري الصعلوكي تدخل في صميم قصائد هؤلاء الشعراء ابتداءً من الحامل اللغويّ بأفقه السيميائي، على النحو الذي يكوّن هذه الشعرية المميزة التي يمتزج فيها المقصد الحياتي العام مع المقصد الشعري الخاص، فصراع الوجود خارج قصيدة الصعاليك وداخلها هو الصراع الجوهري الذي يتجلى بشعريته في تجاربهم الشعرية المختلفة.

تعضد الحرية والانعتاق من أطر المكان هي السمة الأساسية التي يسعى من أجلها الشاعر الصعلوك رغم أن افتقاد الهوية المكانية تخلق مشاكل القلق والتوتر والخوف الموجود على حياتهم بصورة مستمرة، ممن احتقن الدفاع عن ذاتهم ووجودهم لتثبيت الشجاعة والاستقلالية التي جرت عند الفرد الصعلوكي أضعاف ماموجود عند أفراد القبيلة.

ساعدت سرعة العدو والشجاعة اللازمة الصعاليك في مداومة الحياة المبرمج بالتشرد والنفي من القبيلة،ففجرت الشجاعة طاقات السرعة للهروب في مساحات لا مكانية تتكفل معها الدفاع عن وجودهم وبقائهم ضمن معادلة معاكسة لقوانين القبيلة.

تفوقت التجربة اللا مكانية في أشعارهم بسبب الحياة المتشردة والابتعاد عن حمى القبيلة التي تحمي الذات وتضمن الأمان والاستقرار، كما إن قطع سلسلة العلاقات القبيلة والمكانية ليست مجرد التمرد الأنا الصعلوك على الآخرين وإنما تتشظى فيه حمل أيديولوجيا العدالة الاجتماعية بين الفقير والغني وانتفاء الظلم المقوقع على الفقراء والضعفاء، وهو العامل الفاعل عند كل الشعراء خصوصا عند عروة بن الورد.

نلاحظ أنّ حركة الذات نحو سدّ حالة الفقر والفاقة عن طريق اختيار استراتيجية السرعة لضيق الوقت، لأن هذه السرعة هي التي تسعفهم في حالات الشدة؛ ليمروا بأقصى حدّ ممكن من الأمكنة التي تساعدهم للوصول إلى الهدف الأصلي، حيث يحاول الشاعر شرح ما قطعه من مسافات والسير في محطات متنوعة؛ ومن درجات الدفاع عن الأنا هي الاعتماد على زمن الليل لارتباطه بالاختفاء والتستر أو اللجوء إلى المرقبة والبقاء فيها لمدة زمنية قليلة (لارتباطه بالاختفاء والتستر أو اللجوء إلى المرقبة والبقاء فيها لمدة زمنية قليلة). تعضد الحرية والانعتاق من أطر المكان هي السمة الأساسية التي تسعى من أجلها الشاعر الصعلوك رغم أن افتقاد الهوية المكانية تخلق مشاكل القلق والتوتر والخوف الموجود على حياتهم بصورة مستمرة، ممن احتقن الدفاع عن ذاتهم ووجودهم لتثبيت الشجاعة والاستقلالية التي جرت عند الفرد الصعلوكي تضاعيف ما موجود عند أفراد القبيلة.

ساعدت سرعة العدو والشجاعة اللازمة الصعاليك في مداومة الحياة المبرمج بالتشرد والنفي من القبيلة، فانفجرت الشجاعة طاقات السرعة للهروب في مساحات لا مكانية تتكفل معها الدفاع عن وجودهم وبقائهم ضمن معادلة معاكسة لقوانين القبيلة.

تفوقت التجربة اللا مكانية في أشعارهم بسبب الحياة المتشردة والابتعاد عن حمى القبيلة التي تحمي الذات وتضمن الأمان والاستقرار، كما إن قطع سلسلة العلاقات القبيلة والمكانية ليست مجرد التمرد الأنا الصعلوك على الآخرين وإنما تتشظى فيه حمل أيديولوجيا العدالة الاجتماعية بين الفقير والغني وانتفاء الظلم المقوقع على الفقراء والضعفاء، وهو العامل الفاعل عند كل الشعراء خصوصا عند عروة بن الورد.

نلاحظ أنَّ حركة الذات نحو سدّ حالة الفقر والفاقة من خلال اختيار استراتيجية السرعة لضيق الوقت؛ لأن هذه السرعة هي التي تسعفهم في حالات الشدة؛ ليمروا بأقصى حدّ ممكن من الأمكنة التي تساعدهم للوصول إلى الهدف الأصلي، حيث يحاول الشاعر شرح ما قطعه من مسافات والسير في محطات متنوعة؛ ومن درجات الدفاع عن الأنا هي الاعتماد على زمن الليل.

الخاتمة:

تعد الحرية والانعتاق من أطر المكان السمة الأساسية التي يسعى من أجلها الشاعر الصعلوك على الرغم من أن افتقاد الهوية المكانية التي تخلق مشاكل القلق والتوتر والخوف الموجود على حياتهم بصورة مستمرة، ممن احتقن الدفاع عن ذاتهم ووجودهم لإثبات الشجاعة والاستقلالية التي توفرت عند الفرد الصعلوكي أكثر مما موجود عند أفراد القبيلة.

ساعدت سرعة العدو والشجاعة اللازمة عند الصعاليك على مداومة الحياة المبرمج بالتشرد والنفي من القبيلة، ففجرَّت الشجاعة طاقات السرعة للهروب في مساحات لا مكانية تتكفل معها الدفاع عن وجودهم وبقائهم ضمن معادلة معاكسة لقوانين القبيلة؛ لتدخل يد الغارات العضو الأساس في حياتهم وهي المتفقة مع الشجاعة اللازمة المتصلة بالفرد الصعلوك لإشباع حاجات الجسم الهزيل المشبع بالتعب والحركات المتواصلة عبر استمرار الزمن (خصوصا زمن الليل) كما أن العدو أصبح الوسيلة الرئيسة للدفاع عن الأنا المظلومة، واتصلت المرقبة بآليات الدفاع عن وجودهم وضمان البقاء لمدة وجيزة وإعطاء الاطمئنان الجزئي للذات مقابل العناء والجهد الطويل عند الجسد.

تفوقت التجربة اللا مكانية في أشعار الصعاليك بسبب الحياة المتشردة والإبتعاد عن حمى القبيلة التي تحمي الفرد وتضمن الأمان والاستقرار، كما إن قطع سلسلة العلاقات القبلية والمكانية ليست مجرد تمرد الأنا الصعلوك على الآخرين فقط، وإنما مطالبة بمبدأ العدالة الاجتماعية بين الفقير والغني و بانتفاء الظلم المتقوقع على الفقراء والضعفاء، وهو العامل الفاعل عند كل الشعراء لمدة عند عروة بن الورد.

نلاحظ أنّ حركة الذات نحو سدّ حالة الفقر والفاقة من خلال اختيار استراتيجية السرعة لضيق الوقت، لأن هذه السرعة هي التي تسعفهم في حالات الشدة؛ ليمروا بأقصى حدّ ممكن من الأمكنة التي تساعدهم للوصول إلى الهدف الأصلي، حيث يحاول الشاعر شرح ما قطعه من مسافات والسير في محطات متنوعة؛ ومن درجات الدفاع عن الأنا هي الاعتماد على زمن الليل لارتباطه بالاختفاء والتستر أو اللجوء إلى المرقبة والبقاء فيها لمدة زمنية قليلة.

المصادر

أسيلم، فاروق أحمد (1998). الانتماء في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد كتاب العرب.

أوجيه، مارك؛ ت: السويفي، ميساء (2018). اللا أمكنة -مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة، بيروت، مطبعة كركي.باشلار، جاستون؛ ت: هلسا، غالب (1980). جماليات المكان، بغداد، دار جاحظ للنشر.

ثويني، حميد آدم؛ عواد، كامل سعيد (1984). السليك بن السلكة أخباره وشعره، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى.

حرب، طلال (1996). ديوان تأبط شرا، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

الحفني، عبدالمنعم (2005). الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي في حياتنا اليومية، المجلد الاول، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى.

رلف، إدوارد؛ ت: البابور، منصور محمد (2008). المكان والامكان، طرابلس، ليبيا، الهيئة الوطنية للبحث العلمي.

زيدان، عبدالقادر عبدالحميد (2002). التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية.

سويف، مصطفى (1951). الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف بمصر.

عبيد، محمد صابر (2022). "اللامكان السردي" و إشكالية الهوية رواية "الطوفان الثاني" نموذجا، الرواية الحديثة وأسئلة التنوير، دراسات في رواية "الطوفان الثاني" لفاتح عبد السلام، بغداد، منشورات الإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ط1.

لوتمان، يوري؛ ت: قاسم، سيزا (1988). مشكلة المكان الفني، جماليات المكان، الدار البيضاء، دار قرطبة.

المنصوري، عباس تركي محيسن (2019)، سيكولوجية المكان عند باشلار وتظهراته في فن ما بعدر الحداثة، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج 22. ع 4، ص 239-264.

موسى، شمس الدين (1983). الركض بين اللا زمان واللا مكان في رواية الافيال، مجلة الاقلام، دار الجاحظ ـ بغداد، العدد 2، ص:76-80

الهادي، سمية (2015). سيميائية المكان في الشعر الجاهلي، كلية الاداب و اللغات، جامعة محمد بوضياف. .

الهانية، دهيني (2022). الأبعاد النفسية والاجتماعية للمكان وأثرها على الشخصيات في العمل الإبداعي للروائي محمد مفلاح، مجلة التميز، مج4،ع1، ص56-73.

يعقوب، اميل بديع (1996). ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

پەراوێز

[1] . يؤدي الفرس كوسيلة من وسائل النقل مهمة أساسية لتشكيل أماكن العبور ـ كما أشار إليه مارك أوجيه ـ والتي تتميز ـ أماكن العبور ـ بصفة لامكانية ومنع عقد العلاقات قوية مع المكان، كما أنه يصبح الوليد الأول لحرمانه من الارتباط التأريخي لدى الصعاليك، فالذي وجبه أوجيه لرسم المكان تحقق بأكمله لدى هؤلاء من خلو مكانهم من هوية وتأريخ وعلاقة، فضلاً عن أن المكان خلت من الارتياح النفسي المؤآتية من الاستقرار والثبات، لذلك انقلبت أماكنهم إلى لامكان يتزحزح بحثاً عن الجذور المكاني الذي يكافح من أجل الدفاع عن وجودهم وبقائهم هيناً على قيد الحياة.